يعدّ تناول تعريف الخطاب وأنواعه أمرًا مطوّلا، فقد ظهر تعريف الخطاب بداية في حقل الدراسات اللغوية، وظل في حالة تطوّر وتجدد بما ينسجم وتعريف الخطاب وأنواعه، وخصوصية المرحلة التي يمر بها، وهو بحسب المفهوم اللساني يمتد إلى النصوص المتعالية كالقرآن الكريم، والشعر الجاهلي وقرآن كريم، وفي الدراسات الأجنبية يمتد إلى الإلياذة الأوديسة كأمثلة على خطابات متفردة بغض النظر عن نوع الخطاب. وقد بدأ هذا المصطلح بمعناه الدلالي لدى فرديناند دي سوسير في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة، الذي اشتمل على مبادئ أساسية ساعدت على توضيح مفهوم الخطاب، وقد قدّمت له تعريفات متعددة باختلاف المنطلقات الأدبية واللسانية. أنه "اللغة في طور العمل أو اللسان الذي تنجزه ذات معينة كما أنه يتكون من متتالية تشكل مرسلة لها بداية ونهاية"[٢]، وقد لحق الخطاب بعلم اللسانيات والمجال اللساني على اعتبار أنه يتكون من وحدة لغوية أساسها سلسلة من الجمل تعبر عن أي رسالة أو مقول، ويعتبر في في هذه الحالة مجموع قواعد متسلسلة وتتابع الجمل المكونة للمقول.١] كما يعرف الخطاب في تعريف الخطاب وأنواعه، بأنه الوسيط اللساني المستخدم لنقل مجموعة من الأحداث الواقعية والتخيلية التي سمّاها جينيت بالحكاية، وهو كما عرّفه جابر عصفور: "في كل اتجاهات فهمه، هو اللغة في حالة فعل، ومن حيث هي ممارسة تقتضي فاعلا، وتؤدي من الوظائف ما يقترن بتأكيد أدوار اجتماعية معرفية بعينها".٣] كما ورد في تعريف الخطاب وأنواعه، بأنه كلام أو حديث أو محادثة؛ وقُصِد بعد ذلك كل كلام رسمي، واستخدمه اللُّغويون على أنه وحدةٌ كلامية أكبر من الجملة، وكل هذا حسب المعنى اللغوي التقليدي للكلمة، إلا أنّ معناها الفلسفي الغربي أكثر دلالةً وعمقًا، خاصة بعد استخدامه من قِبل الفلاسفة الأوروبيين، مثل الفيلسوف الفَرنسي ميشيل فوكو في ستينيات القرن العشرين الماضي، واللُّغوي البريطاني نورمان فيركلف.٤] مصطلح الخطاب مأخوذ من المصطلح اللاتيني discourse المكون من dis + course، وتأتي فيها كلمة dis باللغة الإنجليزية إضافة مبدئية تدخل على بعض الكلمات لتُغيّر أو تُحرّف معناها للنقيض عادةً؛ كلمة believe إيمان، وكلمة disbelieve كفر، وأيضًا كلمة infect يُعْدِي، وكلمة disinfect يُطَهّر أو يزيل العدوى. أما كلمة course فتَعني "مجرى" أو "اتجاه"، وعند إدخال كلمة dis- عليها تُصبح "تغيير مجرى" لا يكون الاتجاه فيه ثابتًا، بل يغدو شبكة من الاتجاهات التي تتداخل ببعضها البعض، هذا الإيحاء الفلسفي لن تجدَه ضمن معاني كلمة discourse اللُّغوية الشائعة؛ خاصة أن كثيرين سيعتبرون أن dis- ليست إضافة مبدئية في هذه الكلمة، كما أنّ المعنى الشائع للكلمة هو "كلام" أو "قول". وبهذا يغدو الخطاب سيل من الأجندات "اللُّغوية" المتداخلة، والتي تغير مجراها على شكلِ شبكة لا بداية ولا نهاية لها، ولا يجري في خطّ مستقيم أبدا.٤] إن كل التعريفات التي تدور حول المصطلح وممارسته تنطلق من كون اللغة هي وليدة المجتمع وليس الفرد، وهذا ما يجعل من الصعب التحكم بتعريف الخطاب وأنواعه، ويجعل الإنسان تحت تأثير اللغة التي تُشكِّل قناعاته؛ كما في تعريفات اللغة المابعد حداثية، وبالتالي فإن الأفراد في المجتمع ليسوا هم من يصنعون التوجه العام في المجتمع، وإنما هم جزء من الآلة الخطابية في مجال معيَّن وفي وقت معين، بهذا تكون الممارساتُ الخطابية ممارساتٍ مؤسساتيةً في تكوينها،٤] ما سبق من دور المؤسساتيّة في صنع الخطاب، وتأثيره هو ما قال فيه إدوارد سعيد عندما تحدث عن خطاب غربيّ سماه "الاستشراق" في كتاب الاستشراق، وهو خطاب يعمل سلبًا في الشرق منذ عدة قرون في مختلف المجالات، والقصد أن الممارسات الخطابية التي يمكن عَزْو بعض التغييرات إليها في العالم العربي الحاضر قد لا تشكل الصورة الكاملة لما يحدث؛ فالممارسات الخطابية ليست شاملة حتى يُعزَى إليها تغيير مجتمعات أكثر تعقيدًا، كما لا يمكن أيضًا نفي تأثير تلك الممارسات الخطابية كليةً؛ لأنها بالتأكيد تُساهم في صنع التغيير وتشارك فيه، بغضِّ النظر عن كونه تغييرًا إيجابيًّا أو سلبيًّا.٤] ويذهب فوكو إلى أنّ الخطاب مساحةٌ ذات حدودٍ قوية من المعرفة الاجتماعية؛ ونظام من القول يمكن من خلاله معرفة العالم، المظهر الأساسي فيه هو أن العالم ليس "هناك" ببساطة حتى يمكن الحديث عنه؛ وإنما من خلال الخطاب نفسه يصبح للعالم كينونة، ويمكن للمتكلمين والسامعين والكتّاب والقرّاء من فهم أنفسهم وعَلاقاتهم ببعضهم، وهذا ما يعرف بِناء الذاتية/الفاعلية ومجتمع العلامات التي تنظم الوجود الاجتماعي وإعادة الإنتاج المجتمعي الذي تعدّ قانونًا لما يمكن أن يقال وما لا يقال،٤] أمثلة على الخطاب والممارسات الخطابية يعتبر خطاب الاستشراق لإدوارد سعيد في كتابه الاستشراق 1978م في تعريف الخطاب وأنواعه هو أشهر أنواع الخطابات؛ لما فضحه من ممارسات الغربِ في استغلالهم للشرق سياسيًّا واقتصاديًّا بشكل أساسي. ولكن تأثيره قوي جدًّا على الإنسان بدون أن يشعر به، لأنه يشكل نوعًا من الضغط النفسي على الناس لمواكبة متطلباته، فمثلًا: إن مَن تكلم أو أدرك الممارسات التي حِيكَتْ بالأمة العربية والإسلامية لعقود طويلة قبل 2011م ـ قليلون جدًّا، شكَّل في مجمله الطبقة السياسية، وأيضًا طبقة العلماء في التخصصات العلمية التطبيقية في الوطن العربي. ذو الأثر السلبي على الأجيال والأوطان العربية دون ملاحظة هذا التأثير، واللغة الإنجليزية في أقسام الجامعات ومراكز اللغات ومعاهدها،

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

تلك الخطابات لها مؤسساتها وأهدافها وبرامجها، وهنا يتم التركيز على جانب الممارسات السلبية الضاغطة الملحقة بخطاب تعليم تلك اللغات؛ وهو أن تحبُّ أشياء بدون أن تشعر، الأشياء تُبعد الإنسان عن وطنه وتجعله تعيش في أوطان أخرى لا بربطه بها سوى اللُّغة وانبهاره بها، وتجعل الإنسان يتعرفُ أشخاصًا ليسوا قريبين منه، ولا تربطهم به أي علاقة سوى أنهم كانوا مدخلات تعليمية في يومٍ ما في مرحلة معينة من دراسته، وهنا يلعب التعليم والإعلام واللغة والأدب؛ أي المؤسسات الخطابية المتعلقة باللغة، دورًا رئيسيًّا كبيرًا جدًّا في تشكيل تلك الرُّؤى والمشاعر والطموحات لدى الإنسان.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي